مع الشباب

الشباب

وأساسيات محصول معرفي جديد

٤



د. عبد الكريم بكّار

دار القلم
دمشق

مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة، والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن شباب اليوم يعيشون في عصر غير مسبوق بسرعة التحولات، وتدفق المعلومات، وتعدد مصادر المعرفة. لم يعد الامتياز في زماننا قائماً على حيازة معلومة نادرة، بل على قدرة المرء اختيار ما يتعلمه، وكيف يتعلمه، وكيف يوظفه.

إن المحصول المعرفي لم يعد مجرد تراكم للكتب في مكتبة تملأ جدران مكتبة المنزل الأربعة، ولا في المقالات، والمنشورات الكثيرة، بل أصبح يكمن في منهج للتمييز بين المعرفة المؤسِّسة، والنافعة وبين المعرفة المُلهية وبين ما يبني الشخصية، وبين ما يشتتها، أو يشغلها بالهامشيات، والجزئيات.

إن الحاجة اليوم ليست إلى المزيد من المعلومات، بل إلى وعي معرفي جديد يقوم على ثلاثة أركان:

1- معرفة عقدية وشرعية وقيمية تؤسس للمضي في الطريق المستقيم، وتساعد على الثبات في مواجهة الأفكار الدخيلة، والتقلبات الأخلاقية.

2- معرفة مهارية عملية، تتعلق بإدارة الوقت، والتحصيل الذاتي للعلم، واستخدام أدوات التعلم الحديثة، وفهم الاقتصاد الرقمي وتطبيقاته.

3- معرفة ثقافية وحضارية، وتاريخية تمنح الشاب إطاراً واسعاً لفهم العالم، والناس، والأحداث.

ما هو مطلوب اليوم من أهل زماننا هو أكثر تعقيداً، وتركيباً مما كان مطلوباً من الناس قبل قرن، أو قرنين، وهذا طبيعي، ففهم المركّب يحتاج إلى عقل مركّب يتغذى بثقافة مركَّبة. هذا

العقل المركَّب ينبغي أن يكون قادراً على التفكير النقدي، والوصول إلى رأي متزن، واكتشاف الفرص في حياة صاخبه، وفي دراسته، وعمله ولم يعد كافياً أن يعرف الشاب جانباً واحداً من المعرفة، أو أن يتخصص في وقت مبكر في علم من العلوم دون امتلاك قاعدة واسعة للفهم، بل المطلوب اليوم هو (التكامل المعرفي) الذي يجعل العلوم تتخادم فيما بينها، ويجعل التجارب الشخصية، والمهارات الاجتماعية، والقيم الأخلاقية جزءاً واحداً من شخصية قادرة على النمو المستمر.

إن هذا الكتاب هو عبارة عن محاولة عملية لإعادة ترتيب الأولويات المعرفية لدى الشباب، ووضع أساسات واضحة لما يجب أن يتعلموه، وما الذي ينبغي أن يهتموا به.

نحن في عصر يحتاج إلى شباب يعرفون قبل أن يفعلوا، ويتبصرون قبل أن يتحركوا، ويجمعون بين الفكر والعمل، وبين العلم والالتزام.

إن أمة الإسلام، وهي تتلمس طريقها نحو أفق نهضوي جديد في حاجة إلى شباب يحمل الروح الريادية، والوعي بالعصر، والقدرة على التأثير في المجتمعات، وآمل أن يساعد هذا الكتاب على كل ذلك.

ومن الله تعالى الحول والطول.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف.

مصادر التعلم

في زمن يتكثف فيه ورود المعطيات المعرفية، وتتعدد فيه وسائل التعلم يواجه الشباب سؤالاً جوهرياً: من أين أتعلم؟ وكيف أميز المصدر الجيد من غيره؛ فهناك كتب، ومقالات، ودورات، ومرئيات، وحوارات مباشرة كثيرة جداً، لكن بالتأكيد فيها الغث والسمين، ومن هنا تأتي الحاجة إلى ((وعي انتقائي معرفي)) يزود الشاب بالبوصلة الصحيحة لاختيار ما يبني عقله وشخصيته.

يظل الكتاب على الرغم من كل التطور التقني هو المصدر الأكثر موثوقية في بناء المعارف العميقة لأنه يُكتب بروية، ويراجَع، ويستند غالباً إلى منهج وفكر، وتجارب، ومصادر. في المقابل تقدم المصادر المرئية، والصوتية الطرق السريعة لاكتساب المعرفة، كما أنها تفتح أبواباً للحوار، والمراجعة العلمية، لكنها لن تكون بديلة عن الكتاب.

مرتكزات اختيار مصادر التعلم:

1- هل يعرض المصدر المعرفة بطريقة منظمة؟ هل يبدأ بالأساس، ثم بالتفاصيل؟ إن تنظيم المصدر المعرفي يبني لدى القارئ ذهنية منظمة لأنه يرسخ المفاهيم الجذرية أولاً، ويمنع الفوضى في الفهم، ويساعد العقل على الربط بين الأفكار، ويحسِّن قدرته على التحليل.

2- المصداقية: مصداقية المصدر التعليمي ضرورية لضمان الحصول على معرفة جيدة. إن المؤلف صاحب التاريخ العلمي، والتجربة العريقة يقدم في الغالب معلومات مبنية على خبرة حقيقية، وهذا يقلل من الأخطاء، ويمنح المتعلم ما يمكّنه من اتخاذ قرارات صحيحة.

3- الحداثة: لا يكون الكتاب جيداً جداً ما لم يجمع بين الأصالة والحداثة، والحقيقة أن عقولنا في حاجة إلى مواكبة

التغيرات، ومعرفة الاتجاهات الحديثة في العلوم، والتقنيات، والاجتماعيات، وذلك حتى تنجو من الجمود الفكري، وتتخلص من معلومات انتهت صلاحيتها، وملاءمتها للواقع.

4- التخصص: الكاتب المتخصص يعرف كيف يعبر عن المفاهيم الدقيقة، ويقدّم رؤية متماسكة، ويعرف كيف يتجنب الروايات الضعيفة، والمعلومات المزيفة، وهذا مهم للغاية بالنسبة إلى شاب يسعى إلى تأسيس معرفة يعتمد عليها في حياته.

5- العمق: المعارف السطحية منتشرة اليوم بكثرة، وكثير منها يقدَّم بأسلوب مشوق ومؤثر، مما يجعله شديد التأثير، لكن السطحي يظل سطحياً مهما كان.

الشباب يحتاجون إلى فهم عميق للفرص والتحديات الموجودة، وهذه، وتلك لا تدرَك على نحو جيد إلا من خلال المعرفة القائمة على التحليل، والرؤية المتماسكة.

6- الاتزان الفكري: من المهم أن يتجنب الشاب المصادر التي تعتمد على المبالغات والغرائب، والأحكام القطعية الجازمة، إلى جانب اعتمادها على الأسلوب العاطفي، أو التحريضي، والمصادر التي يكتبها متحيز لقبيلة أو جماعة، أو مذهب...

إن لسؤال المتخصصين والخبراء عن المصادر الموثوقة في تخصصاتهم قيمة كبيرة، وفيه اختصار لكثير من البحث الذي قد يكون عقيماً.

القراءة العميقة

القراءة العميقة هي أسلوب في التعامل مع النصوص يقوم على تجاوز السطح إلى تحليل الأفكار، وربطها ببعضها، واكتشاف مقاصدها، وهذا الأسلوب يعتمد على التركيز، وطرح الأسئلة، والتأمل في المعاني، والرجوع – في بعض الأحيان – إلى المصادر، ومعاجم اللغة وبناء رؤية نقدية تجعل القارئ قادراً على مناقشة الكاتب في بعض ما كتب. أنا لا أريد من شاب في العشرين من عمره أن يتحول إلى ناقد أدبي، أو فيلسوف، لكنني أريد منه أن يدرك أن القراءة السطحية للنص تجعله يمر عليه كما يمر علينا الخبر العاجل، والفائدة منها محدودة. وعليّ أن أقول هنا إن من القراء من يريد من القراءة التسلية، والتخلص من العبء الروحي للفراغ، ومن القراء من يريد زيادة مخزونه المعرفي، والاطلاع على المعلومات الجديدة، لكن هناك نوعاً مميزاً من القراء، وهم القراء الذين يهدفون إلى

تحسين مستوى الفهم، ورفع سوية المحاكمة العقلية، والارتقاء بالقدرة النقدية لديهم، هذا الصنف من القراء يحتاج إلى القراءة المتعمقة، لأنه يريد أن يغوص ليستخرج اللآلئ المختبئة في النص، وملامسة طبقاته العميقة، وهو بهذه الإرادة، وهذا التوجه يصبح شريكاً لصاحب النص في إنتاجه؛ إذ يستخلص منه كل ما فيه من إيحاءات، وإشارات، ومكنونات نفيسة، كما أنه يساعد المؤلف على انتشار أفكاره لتمتزج بالثقافة العامة.

مرتكزات القراءة العميقة:

1- فهم سياق النص: إن معرفة زمن النص، ومجاله، واتجاه كاتبه من الأمور التي تساعد على تجنب إساءة فهم النص، وتساعد على فهم المقصود الحقيقي لكاتبه، كما أنها تساعد على فهم المعاني بدقة، وتجنب التأويلات الخاطئة، والأحكام المتسرعة. إننا حين نعرف أن النص الذي نقرؤه يتحدث عن تاريخ القومية العربية – مثلاً – ونعرف أن كاتبه شديد التعصب

أو شديد العداوة لها، فإن علينا حينئذ أن نقرأ بحذر شديد لأن المتوقع هو التحيز مع أو ضد.

2- المعنى الظاهر والمعنى الباطن: أي التفريق بين ما يقال صراحة، وما يشار إليه دون تصريح، فإذا قال أحدهم: ((كان الجو ممطراً، وعلى الرغم من ذلك فقد امتلأت القاعة بالناس)) فإن المعنى الظاهر هو الإفادة بوجود المطر الكثير، وحضور كثير من الناس، أما المعنى الباطن فإنه يكمن في الإشارة إلى أهمية الحدث، أو أهمية المتحدث، أو أهميتهما معاً. نحن بفهم باطن النص نفهم الرسائل الخفية التي يبعث بها، ونصبح أكثر دقة في الحكم عليه.

3- الأسئلة الذكية: النص الجيد يطرح أسئلة أكثر مما يعطي إجابات، والقراءة العميقة هي: فن طرح الأسئلة المناسبة أثناء القراءة، وبعدها، مثلاً إذا قلنا: ((النجاح لا يأتي لمن ينتظر

الفرصة، وإنما لمن يصنعها))، فإن القراءة السطحية تفيدنا أن على المرء ألا ينتظر الحظ، وإنما عليه أن يعمل، ويجتهد.

أما القراءة العميقة فإنها تفيدنا أن النص يميز بين الانتظار والصناعة، وبين الفرصة الخارجية، وبين الفرصة المنتَجة ذاتياً، وهو يشير ضمنياً إلى أن النجاح عملية نشطة، وليست ظرفية، ويفتح أسئلة: ما هي عناصر صناعة الفرصة؟ هل كل الفرص يُصنع، أو بعضها يُكتشف، كما أنه يحمل إيحاء ثقافياً بأن قيم المبادرة أهم من ثقافة التمني.

4- التفاعل مع النص: القراءة العميقة تفاعل حي مع النص، القارئ هنا لا يمر مروراً عابراً، بل يتداخل مع كل كلمة، فهو يضع خطاً تحت كلمة أو جملة، ويعود إلى المعجم من أجل استجلاء معنى مصطلح، أو مَثَل، ويقترح تعبيراً جديداً عن معنى عبّر عنه المؤلف، إنه يحرث الكتاب حرثاً ليكتشف طبقات المعنى الخفية.

القراءة العميقة هي عمليات لصناعة الوعي، وتنمية الفهم.

المنظور العقدي العام

المنظور العقدي العام لدى الإنسان المسلم هو ((مجموعة من التصورات الأساسية الثابتة، المبنية على حقائق إيمانية، تحدد رؤيته لبدء الخلق، وغايته، وطبيعة الخير، والشر، ومسؤولية الإنسان في الدنيا، ومصيره في الآخرة)).

المنظور العقدي أيضاً هو المعتقدات الكبرى التي تفسِّر للإنسان معنى الوجود، ومصدر القيم، والتي تشكّل توجهاته العامة في التعامل مع الله تعالى، والإنسان، والكون، وحوادث الحياة...

هذا المنظور يجيب على الأسئلة الكبرى: من أنا؟ من خلقني؟ لماذا وُجدت؟ ماذا بعد الموت؟ كيف أقيم الحق، والعدل في هذه الحياة؟ ما معيار الصواب والخطأ؟ لو تأملنا في المحاور

الأساسية للمنظور العقدي العام الذي يجب أن يتوفر لدى الشاب المسلم لوجدنا أن معظمه يبحث في (عالم العلاقات) ويمكن أن نوضحه عبر المفردات الآتية:

أولاً: العلاقة بالله تعالى: هذه العلاقة هي محور المنظور كله لأنها تعطي للحياة معناها وغايتها. النظرة الصحيحة لله تعالى تقوم على التعظيم، والمحبة، والحياء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإيمان بأنه رحيم حكيم، ودود، معين، جبار مقتدر لا معقب لحكمه، وهو الخالق الرازق المعطي الوهاب، والحكم العدل، حقه أن يُعبد، ويطاع، وليس لأحد من الخلق أي حق عليه، وإذا وعد عباده بشيء أنجزه لهم تكرماً وتلطفاً.

هذه الرؤية للعلاقة بالله تعالى تجعل القيم والمبادئ نابعة من مرجعية ثابتة، وواضحة.

ثانياً: العلاقة بالدار الآخرة: لا يستقيم منظور الإنسان للحياة إلا إذا أدرك أن الدنيا دار ابتلاء، وليست دار جزاء، وأن الآخرة هي دار الحياة الأبدية: ((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار))[1].

إن النظر الصحيح للآخرة يمنح الشاب بوصلة في اتخاذ قراراته، فيزن أعماله بنتائجها الدائمة، لا بمكاسبها المؤقتة. هذا الوعي يخفف من التعلق الأعمى بالدنيا، ويجعل الإنسان يتصرف بحكمة، ويحتفظ بالأمل لأنه يعلم أن كل جهد، وكل خير، وكل صبر سيكون جزاؤه الكامل هناك حيث الحياة الحقيقية: ((وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون))[2].

ثالثاً: العلاقة بالناس: المنظور المتوازن للناس يقوم على العدل، والإحسان، والرحمة، والتفهم، والتعاون على الخير. النظرة الصحيحة للناس تقوم على أنهم شركاء في عمارة

[1] سورة غافر: 39.
[2] سورة العنكبوت: 64.

الأرض، ولهم حق الإغاثة، والإرشاد، والإعانة على نوائب الدهر. علينا أيضاً أن نتذكر أن التغيير لا يصنعه فرد منعزل، وأن العلاقات الإنسانية هي رأس مال حقيقي، وكبير في النجاح والإصلاح.

رابعاً: العلاقة بمحن الحياة: لا نستطيع فهم الحياة على حقيقتها إلا إذا أدركنا أن المحن، والمصاعب جزء أصيل منها يقول سبحانه: ((لتبلون في أموالكم وأنفسكم))[3] إن الشدائد فرصة للتعلم والنمو، ونيل الأجر من الله تعالى حين نصبر، ونحسن التصرف. المسلم الناضج يتعامل مع المحن والشدائد بمنهج واقعي: يتقبل ما لا يمكن تغييره، ويسعى لتغيير الممكن مع الثقة بحكمة الله تعالى ورحمته.

خامساً: العلاقة بالمال: المال وسيلة لقضاء الحاجات، وليس غاية. المنظور الصحيح يضع المال في إطار العبودية لله

[3] سورة آل عمران: 186.

تعالى: اكتساب من حلال، وإنفاق في النافع، وعدم انجرار لشهوة التملك، أو الخوف من الفقر. المال مجال اختبار للإنسان في حالتي الغنى، والفقر، ولهذا وجب أن يدار بعقل وحكمة.

سادساً: العلاقة بالوطن وأهله: الوطن مسؤولية وقيمة. المنظور العام له يشمل حب الوطن، وخدمته، وبناء مؤسساته، والإحساس بنوع من الرابطة بأهله مهما اختلفت أفكارهم. الوطنية ليست تعصباً أعمى، بل مساهمة أخلاقية في استقرار المجتمع وازدهاره.

الوعي بروح الشريعة ومقاصدها

المنهج الرباني الأقوم الذي أكرمنا الله تعالى به يشكل رأس مالنا الأساسي في هذه الحياة، ومن هنا كان على الشباب المسلم السعي إلى فهم روح الشريعة، ومقاصدها من أجل الامتثال لها، والعمل على تجليتها، وترسيخها في المجتمعات الإسلامية.

أنا أرى أن روح الشريعة تتجلى في ثلاثة عناصر أساسية:

1- تعبيد الناس لله عز وجل، وهو الإطار الذي يضم جل التشريعات. والمراد بتعبيد الناس لله تعالى تحريرهم من الخضوع لغير الله تعالى، وبناء الضمير الأخلاقي، فالإنسان المسلم يعتقد أنه عبد لله، وليس للمال، أو الرأي العام، أو العادة، أو السلطة الزمنية القائمة.

2- إصلاح المجتمعات، فالشريعة ليست مشروع إصلاح فردي فحسب، وإنما هي مشروع إصلاح اجتماعي بامتياز من خلال

إقامة العدل، وحماية الحقوق، ونشر الفضيلة، ومنع الفساد في الأرض.

3- إعمار الأرض: هذا البعد يغيب عن أذهان الكثيرين مع أن الناس لا يستطيعون العيش، ولا القيام بأمر الله تعالى في بيئة متهالكة منهارة. إعمار الأرض يعني توجيه الطاقات، والإمكانات لإيجاد نفع عام حقيقي، وذلك من خلال العلم، والإبداع، والاكتشاف، والإنتاج، والتنمية، ومن خلال بسط الأمن، ونشر الثقة بين أبناء المجتمع. يقول الله تعالى: ((هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها))[4] أي طلب منكم إعمارها.

[4] سورة هود: 61.

مقاصد الشريعة:

مقاصد الشريعة هي الغايات الكبرى، والمرامي العليا التي جاءت أحكام الإسلام لتحقيقها في حياة الإنسان. وقد ذهب علماؤنا القدامى إلى أن المقاصد الكبرى، والأساسية للشريعة هي ما سموه الكليات، أو الضرورات الخمس، وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض. ونحن نلاحظ أن حرية الإيمان، وصيانة العقيدة من التحريف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما اشتملت عليه الشريعة من أحكام جاءت لحفظ الدين. أما حفظ النفس، فقد شُرع من أجله القصاص، وتحريم القتل، ورعاية حق الحياة.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أن للشريعة مقاصد أخرى تكميلية، أو فرعية، ومن تلك المقاصد: الحرية، بسط العدل، تماسك الأسرة، الأمن والاستقرار، والازدهار

الاقتصادي، وتكثير الخير، والصلاح في الناس، بالإضافة إلى التعاون على ما فيه صلاح العباد، والبلاد.

إن معرفة الشاب المسلم بروح الشريعة، ومقاصدها يمنحه فهم معاني العبودية لله تعالى، وكرامة الإنسان، إلى جانب فقه العمران، وفهم احتياجات الناس في الجوانب المختلفة لحياتهم، وبهذا يصبح التدين، والالتزام مشروع حياة لكل شاب.

السيرة النبوية ونمذجة الهداية

يعيش كثير من الشباب المسلم اليوم في شيء من الحيرة والتشتت تجاه الرموز والقدوات التي يمكن أن يهتدي بهديها، وينسج على منوالها في حياته وسلوكه الشخصي؛ فالساحات مزدحمة اليوم بمن يقدمون أنفسهم للناس على أنهم أبطال، ومبدعون، وعظماء... لكن أكثرهم لا يقدمون لمشاهديهم النموذج الأخلاقي الذي يمكن أن يسيروا في ركابه، ويترسموا خطاه. هنا تأتي ضرورة العودة إلى (السيرة النبوية) بوصفها سجلاً لحياة إنسان عاش في أعلى درجات السمو، والنقاء، والإخلاص لقيمه، ومبادئه، ودعوته.

النبي النموذج:

1- علاقته بالله تعالى: كانت علاقته بالله تعالى علاقة عبودية خالصة، تقوم على الرجاء، والخوف من الله تعالى، كما أنها

تقوم على الإنابة، والتبتل، وكثرة الثناء على الله عز وجل، وكان نموذجاً في الأدب مع الله تعالى، وكان من أكثر ما يدعو به: ((اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار))[5]. قال خادمه أنس رضي الله عنه: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أسمعه يكثر من ((اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال))[6] كان صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وكان يذكر الله تعالى في كل أحواله، أما إنفاقه في سبيل الله تعالى، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة – كما وصفه ابن عباس – وكان أحياناً يستدين ويتصدق[7].

---

[5] متفق عليه.

[6] متفق عليه.

[7] ما أبلغ، وأدق ما قاله الشاعر أنس الدغيم في وصف كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:

خير الورى من أطعم الدنيا ولم يَطْعم وشدّ على الحجارة مئزراً

2- علاقته بالناس: لا أستطيع أن أصفه بأبلغ مما وصفه الله تعالى به حين قال: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))[8] كان عليه الصلاة والسلام كثير التبسم في وجوه من يجالسهم، وكان يسأل عن الغائب، ويقف للجنازة، ويكرم الكبير، ويمازح الصغير، وكانت صفته العامة مع القريب، والبعيد، حتى الأعداء هي الحرص على الهداية، ونجاة الخلق من عذاب الله: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم))[9].

3- علاقته بأسرته: في علاقته صلى الله عليه وسلم بأسرته نجد الرحمة، والعدل بين الزوجات، والمساعدة في شؤون البيت، تقول عائشة رضي الله عنها: إنه كان يكون في مهنة أهله، فإذا

[8] سورة الأنبياء: 107.
[9] سورة التوبة: 128.

حضرت الصلاة خرج[10] أي أنه كان يساعدهم في شؤون المنزل.

الدراسات الحديثة في علم النفس الاجتماعي تشير إلى أن وجود نموذج قدوة يرفع مستوى الالتزام الأخلاقي، ويزيد الدافعية للسلوك الإيجابي، وذلك لأن النموذج يوفر مساراً عملياً لكيفية تطبيق القيم.

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقدم هذا النموذج الفذ والفريد: رجل عبادة، وتفكر، وعمل، قائد دولة، ومربي أجيال، زوج رحيم وصديق وفيّ، وداعية يحمل هموم هداية البشرية.

إن مهمتنا اليوم تتلخص في استخلاص النموذج السلوكي من سيرة نبينا العطرة، وعرضها للناشئة والشباب بأساليب ميسرة وواضحة.

---

[10] رواه البخاري.

علم التزكية

علم التزكية هو العلم الذي يعالج أعماق الإنسان، ويهتم ببناء الباطن، وتصحيح الدوافع، وإصلاح الإرادة، وتحرير القلب من العلل التي تفسد العلاقة مع الله تعالى، وتشوّه الأخلاق والسلوكيات.

وليس أدل على أهمية هذا العلم من أن الله تعالى جعله في صميم مهمات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين))[11].

يقوم جوهر التزكية على تطهير النفس من الأخلاق الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الفاضلة، وهي عملية مركبة تجمع بين التخلية، والتحلية، وإن تخليص القلب من أمراضه مقدَّم على تحليته بالفضائل، وذلك لأن القلب – كما يقول ابن القيم – لا

[11] سورة الجمعة: 2.

يستقبل النور، ولا تسكنه السكينة إلا بعد أن يُطهَّر من شوائب الظلام.

من أهم ما تنبغي معرفته أن أمراض النفوس ليست صغائر، ولا معائب نفسية، بل إن كثيراً منها داخل في عداد الكبائر، كالرياء الذي عدّه النبي صلى الله عليه وسلم من الشرك الأصغر[12] وكالحسد، والكبر، والعجب، وسوء الظن بالله تعالى، والتعلق الزائد بالدنيا...

إن التخلص من هذه الأمراض واجب شرعاً، وإهمال ذلك تقصير كبير.

يقوم علم التزكية على ثلاثة محاور كبرى:

1- معرفة النفس: وهي معرفة تحتاج إلى أن تكون صادقة ومخلصة حيث إن اكتشاف انحيازات الذات، وأهوائها، ونواحي

[12] رواه أحمد وغيره.

ضعفها ليس بالأمر القليل، ومع ذلك فالإنسان قادر على ذلك إذا رزق الاهتمام: ((بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره))[13]. لا خلاص من العيوب من غير وعي واضح بها.

2- مجاهدة النفس: مجاهدة النفس هي بذل الجهد من أجل تغيير السلوك الداخلي، وكبح الرغبات المنحرفة، وتدريب القلب على الإخلاص، قال الله تعالى: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين))[14] المجاهدة ليست عنفاً يمارس ضد النفس، بل هو تهذيب لها حتى تذعن للحق.

3- التحلي بالفضائل: إن العبودية الحقة لله تعالى لا تكتمل إلا بمحاسن الأخلاق، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[15] التزكية تهدف إلى صياغة إنسان

---

[13] سورة القيامة: 14،15.
[14] سورة العنكبوت: 69.
[15] رواه البيهقي.

ناضج، رقيق القلب، عفّ اللسان، ثابت على المبادئ، مستقيم على طاعة الله تعالى دون رياء، ولا نفاق، ولا إهمال.

إن لتزكية النفس أدوات عدة، منها:

أ- الحرص على استحضار النية الصالحة، وإخلاص القصد قبل أي عمل، وجهد يُبذل.

ب- محاسبة النفس، فهي ميزان يومي يكشف الأخطاء، ويمنع تراكم الانحرافات.

ج- البعد عن البيئات الاجتماعية المريضة، والملوثة بالعجب، والعنصرية، وتقديس المظاهر...

د- قراءة كتب السلوك والتزكية، والمنضبطة بضوابط الفقه، مثل كتب ابن القيم، وابن رجب، وابن الجوزي، والغزالي.

هـ- الإكثار من قراءة القرآن الكريم، وتدبره، والإكثار من مناجاة الله تعالى، وذكره، والثناء عليه.

د- الدوام على الطاعات، ولاسيما السنن والنوافل، فهي مصادر للنور المستمر.

علم التزكية هو إصلاح المحركات الداخلية، وعلم رسم الاتجاهات القلبية، ولهذا فهو مهم للغاية.

التعلم الذاتي وأدواته

التعلم الذاتي هو: قدرة الإنسان على أن يبحث عن المعرفة بنفسه، ويحدد ما يحتاجه من مهارات، ثم يضع خطة للتعلم، ويختار المصادر المناسبة، ويتقدم في طريقه دون اعتماد مباشر على معلم، أو مؤسسة تعليمية. إنه نمط من التعلم يقوم على المبادرة الشخصية، والانضباط الداخلي، والرغبة العميقة في الارتقاء.

التعليم الذاتي اليوم ليس خياراً، بل أصبح ضرورة وجودية في عالم سريع التغير، وتدفق المعارف فيه مذهل.

الشاب الذي تعلم كيف يتعلم ذاتياً، هو إنسان تحوَّل من متلقٍ سلبي للمعرفة إلى إنسان صانع لقدراته. الدراسات الحديثة في التعليم تشير إلى أن 70% من مهارات العمل المطلوبة في سوق 2030 سيكون مكتسباً بطرق غير رسمية، أي خارج

مقاعد الدراسة. كما أن تقارير لليونسكو تؤكد أن (القابلية للتعلم) أصبحت أهم من المؤهل الدراسي نفسه، لأن العالم الرقمي يجعل المعرفة متاحة لكل من يبحث عنها، ومن ثم فإن من يتقن التعلم الذاتي يستطيع مواكبة التحولات العلمية والتقنية، وتجديد مهاراته باستمرار.

لكن أود أن أقول لكل الشباب: إنهم سيواجهون في البداية صعوبة لتعلم هذه المهارة، واختيار مصادر موثوقة، وهذا طبيعي، لكن المرء يتعلم بالخبرة، وبعد أسبوعين أو ثلاثة سيكتشف الإنسان أن الوضع صار أفضل، وأن ممارسة التعلم الذاتي صارت أسهل.

أدوات التعلم الذاتي:

1- المنصات التعليمية المفتوحة: مثل(كورسيرا)، (إدراك)، (رواق)، (يوديمي) حيث يمكن للشاب تعلم أي مهارة: برمجة، تسويق، تفكير نقدي، تحليل بيانات...

2- الكتب الرقمية، والملخصات: آلاف الكتب متاحة في دقائق، تمكِّن القارئ من تعلم ما يريد دون عوائق.

3- البود كاست العلمي: هو وسيلة فعالة لبناء ثقافة جيدة أثناء السفر، أو المشي. البود كاست العلمي يقدم معرفة مبسَّطة، وهو يعرض الاكتشافات، والأبحاث، والظواهر العلمية، ويقرّب العلوم للجمهور عبر شرح واضح، وأمثلة تطبيقية، وحوارات مع خبراء، مثل بود كاست فنجان، وعي، سايوير، البود كاست العلمي...

4- مشروعات صغيرة: المشروعات الصغيرة هي الجسر الذي ينقل الشاب من امتلاك الفكرة إلى امتلاك المهارة. على صعيد العلوم الإنسانية يمكن للشاب أن يختار موضوعاً مثل الحرية، العدالة، الهوية، الانتماء... ويقوم كل يوم بكتابة تأمل في مئة وخمسين كلمة، فهذا يرفع قدرته على صياغة الأفكار. ويمكنه كذلك أن يقرأ خمسة كتب صغيرة (100-150 صفحة) خلال ستين يوماً، ويكتب ملخصاً لكل منها في صفحتين، أو ثلاث. الهدف من هذا بناء عقلية منظمة، وامتلاك القدرة على استخراج الأفكار الكبرى.

أن يقوم الشاب بكتابة مقال أسبوعي حول قضايا فكرية، أو اجتماعية، أو سياسية... هذا المشروع يصنع قدرة حقيقية على الكتابة، والمناقشة، وبناء الحجج، والبراهين.

التعلم الذاتي مسار طويل، يحتاج من يريد سلوكه إلى إرادة صلبة، تقاوم التشتت، وتنظيم يومي يجعل الاستفادة المعرفية

شأناً مستمراً، وعلى المرء دائماً أن يقاوم الفوضى، والاستعجال، والملل، وسيجد أن روح الاستمرار هي كنز من أكبر الكنوز لأصحاب الطموحات الكبيرة، والهمم العالية.

الوعي النفسي والاجتماعي

نحن لسنا في حاجة إلى كثير من المعارف والمعلومات، فحسب، وإنما نحتاج إلى حصيلة المعارف، والمعلومات، وهي الوعي بالذات، والمحيط الاجتماعي، وذلك لأن هذا الوعي يشكّل الأساس للحياة المتزنة، والناجحة. إن الإنسان الذي يعرف نفسه، ويعي مشاعره، ويستطيع معرفة الناس من حوله يكون أكثر اقتداراً على اتخاذ القرارات الصحيحة، وبناء علاقات صحية، وتحقيق أهدافه في الدراسة، والعمل، والحياة العامة. لدينا شباب كثيرون لم يهتموا بهذه المسألة، فصار الواحد منهم أسيراً لانفعالاته، أو غريباً عن بيئته، أو عاجزاً عن فهم دوافعه، ودوافع الآخرين، وهذا كله يؤدي إلى العيش في دائرة التوتر، والارتباك، والندم على العجز عن حسن التصرف. وقد صدق من قال: ((من عرف نفسه عرف ربه)) فبالوعي الذاتي يكشف

الإنسان حدود ضعفه، ويدرك عظمة ربه سبحانه وتعالى، ويعرف دوره في المجتمع، فيتصرف بحكمة، وتواضع.

أولاً: الوعي النفسي: أعني بالوعي النفسي أن يفهم الإنسان ما بداخله: مشاعره، دوافعه، نقاط قوته، نقاط ضعفه، مخاوفه، ما يرفع من مستوى طاقته، أو يثبطه... وعلى سبيل المثال فإن الشاب الذي يعرف أنه سريع الغضب يستطيع تدريب نفسه على الهدوء، والشاب الذي يدرك أنه يخاف من الفشل يمكنه مواجهته خطوة خطوة.

ثانياً: الوعي الاجتماعي: الوعي الاجتماعي هو قدرة الإنسان على فهم الآخرين: أفكارهم، مشاعرهم، توقعاتهم، قيمهم، أذواقهم، عاداتهم؛ فالشاب يعيش ضمن شبكة علاقات واسعة: الأسرة، الزملاء، الأصدقاء، المجتمع، وكل بيئة لها طريقتها الخاصة في التواصل. فهم هذه البيئة يسهّل الاندماج فيها، ويقلل من سوء الفهم، والصراعات.

الوعي الاجتماعي يمكّن صاحبه من فهم تأثيره في محيطه، كما أنه يساعده على التعاطف، والتعاون، وحل المشكلات التي يسببها العيش المشترك بذكاء. وللوعي الاجتماعي كذلك تأثير واضح في إطلاق المبادرات، والخدمات الاجتماعية على نحو مسؤول، إنه باختصار أساس القيادة الفعالة.

أدوات الاكتساب:

الأدوات التي تساعد الشاب على تحسين مستوى وعيه النفسي، والاجتماعي عديدة، منها:

– كتابة اليوميات، وتدوين الملاحظات الشخصية على السلوك الشخصي، وسلوك الآخرين.

– مراجعة القرارات السابقة، وتحليل نتائجها لاستخلاص الدروس والعبر.

– التواصل الفعال، والاستماع الصبور للحصول على فهم حقيقي للآخرين.

– المشاركة في مجموعات متنوعة لفهم التنوع الاجتماعي، وفهم البيئة المحيطة.

إن فضل مجتمعاتنا علينا، هو في العادة أكبر مما نعترف به، ولو أدركناه حق الإدراك لبذلنا الكثير من الجهد في فهم ما نحتاجه من مجتمعنا، وما يحتاجه منا مجتمعنا، وذلك من أجل الهناء، والنجاح، والتقدم العام، والمشترك.

التعامل مع المعارف السائلة

المعرفة قبل العصر الرقمي كانت تشبه كتلة صلبة ثابتة مستقرة، تتحرك ببطء، وتنتقل عبر الكتب، أو التلقين في المدارس، وكانت المعلومات الجامدة تستقر سنوات طويلة دون تغيير جذري، وذلك مثل قواعد النحو والصرف، ومبادئ الحساب، وقواعد النقد... هذا النوع من المعرفة يحتاج إليه الشاب لأنه يمنحه الأساس، وينشئ لديه عموداً فقرياً للتفكير، ويزوده ببنية ذهنية ثابتة، يعتمد عليها في التعامل مع الفوضى العالمية السائدة اليوم.

لكن العصر الرقمي جاء بنمط جديد من المعارف، إنه (المعارف السائلة) وهي تلك المعارف التي تتغير بسرعة، وتتوالد باستمرار، إنها المعارف المرتبطة بالتقنية، والاتجاهات الاجتماعية، والإعلام، والذكاء الاصطناعي، وأنماط العمل

الحديثة، وتغيرات الأسواق. إنها أشبه بنهر جارٍ يتجدد ماؤه الذي يمر بالقرب من بيتك في كل لحظة!

هذا الفيضان الهائل من المعلومات، والابتكارات المتسارعة، شديد الحساسة للوقت، ويتسم بالصلاحية القصيرة. والسبب الرئيس في سيولة المعرفة على هذا النحو هو تضافر عاملين: الذكاء الاصطناعي الذي يولّد بيانات جديدة باستمرار، والشبكات العالمية (مثل إكس وفيسبوك ويوتيوب وتيك توك..) التي تنقل هذه البيانات، وتوزعها على أرجاء المعمورة بسرعة البرق.

أهمية المعرفة السائلة: من الصعب عليّ أن أذكر جميع عناصر أهمية المعرفة السائلة بالنسبة إلى الشاب، وأكتفي بالقول: إنها شرط أساسي للنجاح، والبقاء في دائرة الفاعلية، والإنجاز؛ فالشاب الذي ينغلق على المعرفة الجامدة يجد أنه

يعيش في الماضي معزولاً عن الحاضر، ومن ثم فإنه يفاجأ بالتحولات الكبرى.

أما الذي يحسن التعامل مع المعرفة السائلة فإنه يجد نفسه قادراً على:

1- قراءة اتجاهات سوق العمل المستقبلية.

2- اكتساب مهارات سريعة مواكبة للعصر.

3- فهم التغيرات التقنية والسياسية، والاجتماعية المحيطة به.

4- تجديد فكره، ومنطقه باستمرار.

5- استثمار الفرص الجديدة قبل الآخرين.

أهم أسس التعامل مع المعارف السائلة:

1- التحقق قبل الاعتقاد: المعرفة السائلة تنتشر بسرعة، لكن كثيراً منها غير موثوق، ولهذا فإن على الشاب ألا يثق بأي

معلومة قبل الرجوع إلى المصادر الأصلية، ومقارنة المصادر مع بعضها، والتأكد من خلفية الكاتب.

2- بناء عقل ناقد، وليس عقلاً جمّاعاً للمعرفة مردداً لها دون وعي، وإن امتلاك مهارة النقد هو الأساس في هذا، وعلى الشاب أن يسأل حين يتلقى معرفة جديدة: ما الدليل؟ هل في هذا الكلام تحيز؟ هل السياق واضح؟ من المستفيد من هذه المعلومة؟

3- ربط المعلومات بإطار مرجعي ثابت: السيلان لا يعني الفوضى، ولهذا فينبغي أن يكون لدى الشاب مرتكزات ثابتة: قيم، مبادئ، معايير، يحاكم إليها المعارف الجديدة.

المعارف السائلة تعني أن الصحيح اليوم قد يصبح ناقصاً، أو موضع نقاش في الغد. التعامل مع المعارف السائلة هو فن

التثبت وسط السيلان، وفن التركيز وسط الضجيج، وفن البناء في وسط التغير.

التعبير عن الذات

التعبير عن الذات هو القدرة على نقل الأفكار، والمشاعر، والمعتقدات، والاحتياجات الشخصية إلى الآخرين بوضوح، وصدق مع الحفاظ على احترام الذات، واحترام من نخاطبهم. والحقيقة أن التعبير عن الذات هو فن تحقيق التوازن بين الدفاع عن الحقوق الشخصية، والسعي للحفاظ على علاقات إيجابية.

يتم التعبير عن الذات بشكل لفظي (الكلام، الكتابة) وبشكل غير لفظي (لغة الجسد، الفن، الإبداع) هذا السلوك الصحي، والمطلوب يقع في المنتصف بين العدوانية (انتهاك حقوق الآخرين) وبين الخضوع (التنازل عن الحقوق الشخصية).

أهمية هذه المهارة: تزداد أهمية هذه المهارة اليوم لأنها ضرورية للحياة الشخصية، والحياة المهنية، وندرك هذا عبر:

– الصحة النفسية والاتزان: الكبت هو عدو الاستقرار النفسي، والتعبير الواضح المعتدل، يعمل كما لو كان مرتكزاً لإدارة

القلق، والإحباط، وهذا يقلل من التوتر، ويزيد من الشعور بالتحكم بالشأن الشخصي.

– التعبير الصادق عن الذات يساعد الشاب على فهم هويته الخاصة، ويؤكدها، ما يجده من ترحيب بأفكاره، ووجهات نظره من قبل الآخرين.

– النجاح المهني والأكاديمي: في بيئات العمل الحديثة لا تكمن القيمة في الإنجاز وحده، بل في القدرة على الإقناع بالآراء، ومشاركة القيادة في الأفكار، والحصول على التقدير المترتب على ذلك.

– وضع الحدود الصحيحة: هذه المهارة تمكّن صاحبها من قول (لا) ووضع حدود واضحة لحماية الذات من الاستغلال، والإساءة.

مقومات مهارة التعبير عن الذات:

1– الكتابة اليومية: حين يكتب الإنسان باستمرار تتكشف أمامه أفكاره، ومشاعره ومخاوفه، وطموحاته، وإن ما لا يُكتب يظل

غامضاً. الكتابة أيضاً تنظم الطرح الفكري لدى الإنسان؛ فالأفكار قبل الكتابة تكون أشبه بغيوم متناثرة. الكتابة تجعل العقل يعتاد ترتيب الأفكار، وإنتاج جمل متماسكة، وتحديد وسائل أساسية، ومع مرور الوقت يصبح التعبير التلقائي أكثر قوة ووضوحاً. أضيف إلى كل هذا أن الكتابة تبني عضلة التعبير حيث إنها تزيد في ثراء مفردات الكاتب، وتحسِّن قدرته على اختيار الكلمات المناسبة، وتزيد في سرعته في الكتابة أيضاً.

2- صياغة الرسائل المعبرة عن المشاعر الشخصية: حين يتضايق أحدنا من شيء فإنه في كثير من الأحيان يسارع إلى لوم الآخرين، أو الدفاع عن نفسه وحقوقه... لكن الأفضل من ذلك أن يعبر عن مشاعره بوضوح تام: ـ مثلاً ـ أنا غاضب من كلامك لأن فيه إهانة لي. هذا التعبير عن المشاعر ينقل المشاعر من حالة الضبابية إلى حالة الوضوح، ويساعد الإنسان على امتلاك رؤية معبرة عن أحواله: غضب، ضيق،

إحباط، ارتباك، توتر، سكينة، امتنان، وفي هذا كذلك تدريب للعقل على التفكير قبل الانفعال.

3- المشاركة في الحوارات الهادئة تؤمِّن للإنسان أجواء آمنة للتعبير عن ذاته حيث يأخذ الوقت الكافي لتنظيم أفكاره، وصياغتها، وفي هذا تدريب على الاستماع الجيد أيضاً.

في الختام: الشباب يعيشون اليوم في عالم مزدحم بالتنافس على أشياء كثيرة، ومزدحم بالأمور المحرجة، وفي قدرته على التعبير عن ذاته صون لها من التهميش، وصون لحقوقه من الانتهاك، إلى جانب التأثير الإيجابي في الآخرين.

الفهم المعاصر للعالم

سيلاحظ قارئ هذا الكتاب أن من المعاني التي يكثر تكرارها المعاني المتعلقة بالتعقيد العام لحياتنا، والمعاني الدالة على تسارع التغيرات التقنية، والاقتصادية، وما هذا إلا لمحورية هذه المعاني في أحداث العالم.

أنا حين أحث الشباب على فهم أوسع، وأعمق للعالم المعاصر، فإني أدرك أن ذلك حاجة مهمة لهم، وأداة مساعدة على تحديد مساراتهم المهنية، واتخاذ قرارات مالية واعية، كما أنه يحمي صحتهم النفسية حيث إن فهم الشاب للقوى الخفية التي تشكل العالم يحوّله من متلقٍ سلبي للأحداث إلى موظِّف نشط لها، وواعٍ بفرصه وخياراته.

مرتكزات فهم العالم المعاصر:

1- عالم متعدد الأقطاب: قد تغير فعلاً شكل العالم حيث انتقلت السيطرة العالمية من نظام أحادي (تقوده قوة واحدة) إلى نظام متعدد الأقطاب حيث تتنافس كتل قوية، ومتعددة الأوجه (مثل الولايات المتحدة والصين، والاتحاد الأوربي) على النفوذ العالمي. الصراع اليوم لا يركز كثيراً على المواجهة العسكرية المباشرة، وإنما على السيطرة التقنية، والمعايير الاقتصادية وطرق التجارة. هذا التنافس هو المحرك الرئيس للتوترات العالمية الحالية.

2- من المهم للشباب أن يدركوا على نحو جيد أن التقنيات الرقمية، والذكاء الاصطناعي، والمنصات المفتوحة جعلت إنتاج المعرفة متاحاً للجميع، وهذا التدفق الهائل للمعرفة جعل التعلم المستمر ضرورة بالنسبة لكل واحد منا، وفرض علينا أن نطور

مهارات الفرز، والتحليل، والتحديث الدائم، لأن من لا يفعل ذلك يفقد موقعه بسرعة في عالم شديد التنافس، سريع التغير.

3- العالم يشهد اليوم تحولاً نحو عولمة جديدة، تعطي الأولوية للأمن، والمرونة على حساب التكلفة المنخفضة، أي أن هناك تفضيلاً لسلاسل الإمداد الآمنة، والقابلة للصمود ولو كانت مكلفة. هذا التحول يشمل الحمائية الاقتصادية، وظهور الكتل التجارية الإقليمية، وزيادة الاهتمام بالتحويل اللامركزي بديلاً عن النظام البنكي التقليدي.

4- الأزمة المناخية المتصاعدة صارت تؤثر على نحو واضح في العلاقات الدولية، والأمن القومي للدول، وهذا يتطلب من الشباب أن يدركوا كيفية تأثير الظواهر الجوية المتطرفة في الأمن الغذائي، وأمن الطاقة، والهجرة الجماعية، وكيف أن السباق نحو الطاقة النظيفة، والمعادن النادرة يمثل الآن مصدراً رئيسياً للتنافس العالمي.

5- صارت المنصات الرقمية، ومحركات التوصية[16] أدوات قوية لتشكيل الوعي. المطلوب هنا هو فهم كيف أن هذه الأدوات من خلال عزل المستخدمين في فقاعات معلوماتية تساهم في الاستقطاب الحاد، وفي تآكل الثقة بالمؤسسات التقليدية، ومفهوم الحقيقة الموضوعية، وهذا يتطلب من الشاب التسلح بالقدرة على نقد المعلومات الوافدة عليه.

6- الواقع المعاصر شديد التشابك حيث صار من غير الممكن تفسير أي ظاهرة بعامل واحد. الفهم العميق يتطلب اليوم نبذ التفسيرات المبسطة، وتبني عقلية التعقيد. هذا يعني أن ننظر إلى كثير من المقترحات، والإجابات على أنها مؤقتة، ومدة صلاحيتها قصيرة. هذا يتطلب التحول من التفكير الخطي إلى التفكير الشبكي.

[16] محركات التوصية هي خوارزميات ذكية تستخدمها المنصات الرقمية مثل فيسبوك، ويوتيوب لجعل المستخدم يرى ما يحبه، وما يعجبه، فيشكل لديه عالماً معرفياً خاصاً به.

العالم يتغير، وعلينا أن نواكب هذا التغير بما يمكّننا من فهم مستجداته وتحدياته.

ثقافة النهوض والانحطاط

مسائل الانحطاط، والنهوض من المسائل التي تحتاج إلى وعي، واهتمام عام من جميع المواطنين، ولاسيما الشباب، وذلك لأن فهم أسباب الانحطاط هو البوصلة الوحيدة التي تساعدنا في عدم تكرار أخطائنا، وأخطاء أسلافنا.

إن الأمة لن تنهض النهوض المرتجى إلا إذا حرص كل واحد من أبنائها على تبين دوره، وما يمكن أن يسهم به في ذلك.

1- مرتكزات الانطلاق والنهوض:

- تبدأ النهضة دائماً بثورة داخلية في طريقة التفكير، وهذا ما حدث لانطلاق الحضارة الإسلامية العتيدة حيث كان التغير العقدي والفكري هو الأساس العميق لها. ومن الواضح أن النهضات تقوم على الانفتاح، والتسامح، وليس على

الانغلاق، والمنع، وتقوم كذلك على يقين بحاجة الشعب إلى أن يتعلم أشياء من الشعوب الأخرى.

- الشجاعة في طرح الأسئلة، وتقبل الاجتهادات الجديدة من المرتكزات الأساسية في النهضة، وقد أنتجت أمتنا من الأفكار، والطروحات في القرون الثلاثة الأولى من حضارتنا ما يزيد على ما أنتجته في عشرة قرون تالية حيث صار الجمود والتقليد من الأمور الشائعة، والسائدة.
- محاسبة المفسدين شيء أساسي في استمرار النهوض، وذلك لأنه يحول دون تجذر الفساد، وشيوع الظلم، ويذكّر الجميع بالمسؤولية نحو المجتمع، كما يذكّرهم بأن السلوك الخاطئ له ثمن، وهذا كله يولّد ثقافة الاستقامة، والانضباط.

2- بذور السقوط والانحطاط:

- شيوع الظلم، وفساد القضاء، وعدوان الأقوياء على الضعفاء، وقد قال الله تعالى: ((وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً))[17].
- الجمود المعرفي، وإغلاق باب الاجتهاد حيث تتوقف المعرفة عن النمو ويصبح العقل أسيراً للتقليد، ويصبح اجترار المعرفة، وتكرارها هو الشيء المعتاد، كما أن المثقفين ينشغلون آنذاك بالحديث عن تفاصيل التفاصيل مع أن اتجاهاتهم الحضارية الكبرى أصابها العطب، لكن ليس هناك من يهتم بذلك.
- فساد دوائر الحكم، وتغليب الولاء الضيق على الكفاءة، والجدارة، وهذا يؤدي إلى هجرة الأدمغة والكفاءات الحقيقية، وينشر في المجتمع الانقسام، واليأس من صلاح الأحوال.
- تجاهل الأفكار، والإبداعات الجديدة، وسيطرة الروح الاستهلاكية (المكتبات تغلق أبوابها، والأسواق الكبرى

[17] سورة الكهف: 59.

تتكاثر) على الناس، وهذا ليس له نتيجة سوى الانحطاط، والتضاؤل الثقافي العام.

الدرس الأعمق للشباب:

الدرس الأعمق الذي ينبغي أن يتفتح عليه وعي شبابنا هو أن النهضة تبدأ من الفرد، وعلى الشاب ألا ينتظر إصلاحاً سياسياً عاماً ما لم يبدأ هو بإصلاح نفسه، وتحسين محصوله المعرفي.

إن القوة الحقيقية للأمة تكمن في قدرة أفرادها على توليد المعرفة، والتكيف مع التغير، وتبنى قيم النهوض من نحو: المرونة الفكرية، والنقد البنّاء، ورفض الجمود الثقافي.

والله غالب على أمره.

التحليل النقدي والتحليل المنطقي

هناك دراسات إحصائية تشير إلى أن العالم ينفق اليوم على الدعاية، والإعلانات ما يقارب الـ (ترليون) دولار. جزء كبير من هذه الإعلانات يذهب إلى الإعلانات الرقمية، ومحركات التوصية، والمنصات الكبيرة، وإن كثيراً من تلك الإعلانات يشتمل على شيء من الخداع، والتضليل، والمبالغة، وكان لابد من اللجوء إلى التحليل النقدي، والمنطقي لمواجهة ذلك من خلال تفكيك الرسالة الإعلانية، وكشف التحيزات، وفضح التناقضات، وكل ذلك من أجل تحرير العقل من سيطرة الزيف والمعلومات الكاذبة.

1- التحليل النقدي: هو عملية فحص الحجج، والآراء، والبيانات، وتقييمها بعمق، وموضوعية. التحليل النقدي يتطلب الأناة في إصدار الأحكام، وتجميد ردود الأفعال إلى ما بعد النظر العميق فيما نرى، ونسمع.

مرتكزات التحليل النقدي:

– هل المصدر الذي وردت منه المعلومة خبير ومحايد؟ هل لديه سجل مثبت من المصداقية والموثوقية؟ (هناك فرق كبير بين تقرير صادر من مركز أبحاث معروف، وتقرير منشور على وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي).

– فحص الأدلة: هل الحجة التي تساق مدعومة ببيانات، أو إحصاءات؟ هل هذه الأدلة كافية ومناسبة للادعاء (مثلاً الادعاء التقني يحتاج كي نصدقه أن يكون مدعوماً بتجارب معلمية، وليس مجرد آراء شخصية).

– تحديد الافتراضات: ما الأشياء التي يفترضها الكاتب، أو المتحدث دون إثبات، (مثلاً: الافتراض بأن كل من يستخدم الانترنت يصبح غنياً) ودون تحديد عوامل أخرى مثل التعليم، أو رأس المال.

– كشف التحيز: ما المصلحة التي تعود إلى الطرف الذي قدّم المعلومة؟ (هل الإعلان عن منتج معين جاء من جهة تبيع هذا المنتج؟).

إذا اطلعت على إعلان لشركة عقارية عن أفضل استثمار عقاري في المدينة، فلا تعجل بالاستجابة، ولكن ابحث عن العائد الفعلي، وقم بتحليل موقع المشروع بنفسك مع التحقق من الالتزامات القانونية للشركة، واسأل الذين تعاملوا معها. هذا هو الموقف الصحيح، وليس الاكتفاء بالصور الجذابة.

2– التحليل المنطقي: التحليل المنطقي هو منهج في التفكير يقوم على تفكيك الفكرة إلى عناصرها الأساسية، ثم فحص ترابطها الداخلي، والبحث عن الأدلة التي تدعمها، أو تُضعفها، واكتشاف التناقضات، أو المغالطات الخفية فيها. التحليل المنطقي يركز على بنية الحجة نفسها، إنه يهتم بالربط بين المقدمات والنتائج من أجل ضمان سلامة الاستدلال.

مرتكزات التحليل المنطقي:

– الاتساق: هل تتناقض الأجزاء المختلفة من الحجة مع بعضها بعضاً؟ (إذا أشار المتحدث إلى أن المنتج بسيط الاستخدام، ثم قال: إنه يتطلب دورات تدريبية متقدمة، فهناك عدم اتساق).

– الصحة والاستنتاج: هل النتيجة تتبع حتماً المقدمات؟ (إذا كانت كل القطط حيوانات، وكل الحيوانات كائنات حية، فالمنطق يقول: إن كل القطط كائنات حية. أي خلل في هذا التسلسل هو خطأ منطقي.

– تجنب المغالطات: التعرف على الأخطاء الشائعة التي تجعل الحجة ضعيفة، أو باطلة مثل: مهاجمة الشخص عوضاً عن تفنيد حجته.

مغالطة الانزلاق الزلق: مثل الادعاء بأن حدثاً بسيطاً سيؤدي بالضرورة إلى سلسلة من النتائج السلبية الهائلة.

مثال موسَّع: إذا قال صديقك يجب علينا جميعاً أن نلتزم بالنظام الغذائي الجديد الذي اقترحته الجهة الفلانية، وذلك لأن طبيباً مشهور جداً يروج له.

التحليل المنطقي يقول: هذا احتكام إلى جهة غير مختصة، أو جهة زائفة، فكون الطبيب مشهوراً (سلطة اجتماعية) لا يجعله بالضرورة خبيراً في التغذية (مجال الحجة) يجب أن يكون الدليل هو الأبحاث الغذائية المتخصصة.

ليس الهدف من كل هذا الكلام هو أن يتحول الشاب إلى إنسان شكوكي (موسوس) وإنما القصد هو امتلاك القدرة على التفريق بين ما هو حقيقي، وما هو وهمي، أو زائف، أو مبالغ فيه.

معرفة الجذور التاريخية

على مدار التاريخ كان فهم جذور نشوء أي قضية، أو مشكلة، وسياقاتها من الأمور الجوهرية لفهمها، والتعامل معها، وذلك لأن القضايا والمشكلات – وكذلك العلوم – لا تنشأ فجأة، بل تنشأ عبر طبقات زمنية معقدة، تتداخل فيها الأفكار، والمصالح، والسياقات الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، ومن دون هذا الوعي العميق، يكون تعامل الإنسان مع الواقع أشبه بلمس السطح دون سبر الأغوار، فيقدم حلولاً جزئية، أو منقوصة، أو قصيرة المدى.

أول ما يمنحنا إياه فهم الجذور التاريخية هو تفكيك البنية العميقة للمشكلة؛ فحين ندرس مثلاً مشكلة (الفساد الإداري) نجد أنها نتاج تاريخ طويل من ضعف (الحوكمة)[18]، وترسخ البيروقراطيات، وغياب الرقابة الاجتماعية، وتحول بعض

[18] الحوكمة هي نظام يضبط القرار، والمسؤوليات، والمحاسبة لضمان العمل المنظم والشفاف، ومنع الفوضى والفساد.

الأعراف الخاطئة إلى ممارسات مقبولة. هذا الوعي يجعلنا نبحث عن حلول هيكلية لا عن مجرد حملات مؤقتة.

وإذا تأملنا في الجذور التاريخية للعلوم، (تاريخ العلوم) فإننا سنجد أن قراءة تاريخ أي علم تفتح أبواباً لفهم منهجي جديد، ولنا على هذا الصعيد أن نلحظ التطور الذي حدث في علم (أصول الفقه) حيث بدأ بمرحلة الاستنباط المباشر، ثم انتقل إلى مرحلة التقعيد على يد الشافعي في كتابه (الرسالة) حيث تحول هذا العلم من كونه اجتهادات متفرقة إلى علم له قواعد وأصول. ثم شهد هذا العلم مرحلة توسع على يد (مدرسة المتكلمين) بين القرنين الرابع والسادس، وكان من أعلامها الغزالي في كتابه (المستصفى) والآمدي في كتابه (إحكام الأحكام) حيث تم إدخال المنطق، وقواعد الكلام في بناء الأصول، ثم جاءت (المرحلة المقاصدية)، حيث تركز البحث على مقاصد الشريعة، وبناء الأحكام على الغايات الكلية، وقد

كان من أعلامها العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام) ثم الشاطبي في كتابه النفيس: (الموافقات).

وتشير دراسات حديثة في (علم الاجتماع المعرفي) إلى أن الأفكار لا تُفهم بمعزل عن سياق تشكلها التاريخي، والاجتماعي، وأن الوعي بتاريخها يحمي الباحث من إسقاط مفاهيم عصره على الأوضاع التاريخية للعلوم لأنه يمنحه إدراكاً عميقاً بعدد من الأمور، منها السياقات التي ولدت فيها النظريات حيث إن العلوم تنشأ بوصفها إجابات على أسئلة طُرحت في عصر محدد، ومنها الوعي بتطور المفاهيم نفسها عبر الزمن، حيث إن مفاهيم مثل (السببية) والنسبية، والمادة، والمنهج... كل هذه المفاهيم نالها التطور، والتجديد عبر الزمن.

إن قراءة تاريخ العلوم، والقضايا، والمشكلات المختلفة ترينا حركة العقل البشري وصراعاته عبر العصور مع الأسئلة الكبرى، وهذا يحرر وعينا من سجن اللحظة الراهنة، كما أنها

تعلمنا أن فهم الحاضر لا يكتمل إلا بقراءة الطبقات العميقة التي صنعت مساره.

باختصار: نحن لا نفهم شيئاً بعمق حتى نفهم تاريخه.

بناء المساحات المشتركة

الله تعالى أخبرنا باستمرار الاختلاف بين الناس حيث قال: ((ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم))[19] والحقيقة أن المزيد من التحضر سيعني المزيد من توسع دوائر الاختلاف بين الناس، وذلك لأسباب عدة، منها توسع دوائر الاحتكاك البشري بسبب التقدم المذهل في وسائل المواصلات والاتصالات حيث يجد الناس أنفسهم يعيشون في بيئات مفتوحة، تتعدد فيها مصادر المعرفة، وتتنافس فيها الرؤى والتفسيرات. ومع توفر حرية التعبير، واتساع الخيارات الفردية تتكاثر التأويلات لكل السلوكات الإنسانية، وهكذا يولّد التحضر فضاءً غنياً بالاختلاف لأنه يحرر الأفراد من القوالب الضيقة، ويمنحهم استقلالاً فكرياً أوسع.

[19] سورة هود: 118،119.

إن حاجتنا اليوم إلى إيجاد (بيئة) يستطيع فيها الناس – رغم اختلافهم – أن يتواصلوا، ويتعاونوا، ويبحثوا، ويبنوا حياة مشتركة، قائمة على التفاهم، والاحترام، إن هذه الحاجة ليست من الكماليات، وإنما هي شيء أساسي لتقليل الصدام، والتوتر، وسوء الفهم، وفتح مساحات مناسبة، ولائقة للعمل والإنجاز الحضاري المشترك.

أولى الخطوات في بناء المساحات المشتركة يتمثل في إعادة اكتشاف القيم الإنسانية الكبرى التي تجمع الناس مهما اختلفت ثقافاتهم، قيم مثل الكرامة، والعدل، والصدق، والتراحم، والاحترام المتبادل، والرغبة في العيش بسلام... هذه القيم كلها جسور طبيعية لتلاقي العقول والأرواح.

الأمر الثاني هو: تعميق الوعي بالهوية المركّبة؛ فكل واحد منا يحمل في الحقيقة عدداً من الهويات: هويات دينية، ووطنية، ولغوية، ومهنية، وطبقية، وحين يُختزل الإنسان في هوية واحدة

يضيق المشترك، وتتسع الهوة، أما حين يدرك الشاب أن في هويته مساحة واسعة للالتقاء مع الآخرين فإن إمكانات التعايش، والعمل المشترك تصبح أوضح؛ فالإنسان قد يختلف مع غيره على المستوى الديني، أو المذهبي لكنه يلتقي معه على المستوى الوطني، وقد يختلف مع شخص على الصعيد الفكري لكنه يلتقي معه على الصعيد الإنساني..

الأمر الثالث: تبني منهج الحوار القائم على الفهم، والإضاءة المتبادلة للزوايا المعتمة، وليس الحوار الذي يصر على الإقناع الفوري. المساحة المشتركة لا تولد من إلغاء الاختلاف، وتجاهله، وإنما من الاعتراف به، وفهمه. الحوار الذي يهدف إلى الفهم، والتفهم ينشئ لغة مشتركة، ويزيل طبقات من الأحكام المسبقة، ويوجد وجداناً مشتركاً تجاه القضايا المختلفة.

الأمر الرابع: معرفة مشتركة حول الواقع؛ فالناس لا يختلفون في القيم فقط، وإنما يختلفون أيضاً في تشخيص الواقع. مشاركة

البيانات، وتبادل وجهات النظر، والاتفاق على خطوط أساسية لمعالجة المشكلات، هذه كلها خطوات تساعد على بناء قاعدة للفهم المشترك، وهي أيضاً شرط للتعاون؛ فكلما كان التشخيص مشتركاً كان الحل مشتركاً.

الخامس: تعزيز ثقافة الإنصاف. حين يشعر كل طرف أنه يُستمع إليه باحترام، وأن رأيه يُتفهم، حتى لو لم يُقبل تتولد ثقة تسمح بتوسع المساحة المشتركة. الإنصاف هو روح الاجتماع الإنساني، والله تعالى أمرنا بوزن الأمور على قاعدة العدل والإنصاف، فقال: ((والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان))[20] وقال: ((ولا تبخسوا الناس أشياءهم))[21] الإنصاف يجعل الناس يطمئنون إلى الحوار، وإلى نيات بعضهم بعضاً.

[20] سورة الرحمن: 7-9.
[21] سورة هود: 85.

الأمر السادس: ترسيخ فكرة أن الحقيقة متعددة، وهذا ليس لأن الحقيقة نسبية، بل لأن الإنسان محدود، حيث إن كل واحد منا يرى جزءاً من الحقيقة، وفهم الحقيقة كاملة يحتاج إلى تكامل العقول، والخبرات، وليس إلى تصادمها.

هذه الرؤية تمنح الشباب تواضعاً فكرياً، وتفتحاً معرفياً، وتجعل المشترك قاعدة للبحث عن الحقيقة.

في النهاية: المساحات المشتركة لا تبنى من خلال الكلمات، وإنما من خلال منهج حياتي يرى في التنوع مصدر قوة، وفي الحوار أداة بناء، وفي القيم الكبرى سقفاً واحداً يتظلل به الجميع. بهذا يتحول التعدد إلى طاقة حضارية بناءة.

الإلمام بمبادئ الإدارة

يظن كثير من الشباب أن علم الإدارة هو علم للشركات، والمؤسسات فقط، ولكن الحقيقة هي أن علم الإدارة هو في الأساس لتنظيم الوعي، والشأن الشخصي، فهو يساعد على تنسيق الأولويات، والحد من الفوضى، وتوجيه الطاقة، والاستفادة من الوقت، واستخدام الموارد بكفاءة عالية ... الإدارة هنا ليست سلطة، وإنما هي فن قيادة الذات نحو ما فيه خيرها وصلاحها.

مبادئ ومرتكزات:

1- وضوح الهدف، والنتيجة: أثبت عدد من الدراسات أن الإنسان الذي يكتب أهدافه بوضوح تزيد احتمالات نجاحه بنسبة 42% وضوح الهدف يمنح الشاب بوصلة داخلية تمنعه من

بعثرة جهده، ويجعله يعرف ما الذي يستحق جهده، ووقته، وما الذي ينبغي تركه، والانصراف عنه.

2- إدارة الوقت والطاقة: يؤكد عدد من الأبحاث أن إدارة الطاقة أهم من إدارة الوقت، وذلك لأن جودة الإنجاز تتعلق بحالة الجسد، والعقل أكثر من تعلقها بعدد الساعات. الشاب الذي ينام جيداً، ويخطط لقضاء أيام أسبوعه، ويقلل من المشتتات الرقمية، ويستخدم تقنيات العمل العميق[22] ينجز في ساعتين ما لا ينجزه غيره في يوم كامل.

3- التحسن المستمر: تُظهر أبحاث التطور السلوكي أن التحسين التدريجي الصغير يوجد نتائج ضخمة على المدى البعيد. وتفيد إحدى الدراسات أن الشخص لو تحسّن 1% يومياً سيصبح أفضل 37 مرة في نهاية السنة. هذا المبدأ يجعل الشاب قادراً على مراكمة المهارات والخبرات، حتى لو بدأ من

[22] المقصود بتقنيات العمل العميق تنظيم بيئة العمل، والتركيز المكثف، وتحديد أوقات الراحة.

الصفر، لكن هذا ليس بالأمر اليسير، ومع ذلك فإن الالتزام بمبدأ التحسن المطلق يأتي أيضاً بخير عظيم.

4- التفكير بالنظم: المراد بالتفكير بالنظم رؤية الترابط بين عناصر الحياة. تشير إحدى الدراسات إلى أن التفكير بالنظم يرفع قدرة الفرد على حل المشكلات المعقدة بنسبة تصل إلى 50%. إن الشاب الذي يدرك أن نومه يؤثر في تقدمه الدراسي وأن علاقاته الاجتماعية تؤثر في صحته النفسية يصبح أقدر على التحكم بمساره، وأقل عرضة للتشتت.

5- إدارة العلاقات في العمل الجماعي: يشير أحد الأبحاث إلى أن أهم عنصر للنجاح في فرق العمل الجماعي هو (الأمن النفسي). وهذا يعني أن العلاقات الجيدة، والقدرة على الحوار، والتواصل هو جزء جوهري من النجاح. إن الشاب الذي يحسن التعامل مع زملائه يكسب فرصاً أكبر، ويجد الدعم في أوقات التحدي، ويكون أكثر تأثيراً في محيطه.

6- إدارة القرار: إن الإنسان يميل بطبعه إلى التحيز، والقرارات العاطفية ما لم يستخدم التفكير التحليلي الهادئ. تعلم خطوات اتخاذ القرار (تحديد المعايير، جمع المعلومات، وزن البدائل) يجعل الشاب أكثر قدرة على اقتناص الفرص، وتجنب الأخطاء المكلفة.

7- قياس الأداء: من الواضح جداً أن قياس الأداء، ورؤية نتائج العمل بوضوح من الأمور التي تزيد في الإنتاج، وترفع درجة الحماسة للعمل. قياس ساعات الدراسة، والتمارين، وقياس المهارات، هذا يجعل من الحياة مشروعاً يمكن تطويره باستمرار.

8- المرونة والتكيف: المرونة المعرفية من أهم مهارات المستقبل لأنها تمكن الإنسان من التعامل مع المتغيرات دون الشعور بالصدمة. الشاب المرن يعيد تشكيل خططه بحسب المعطيات الجديدة، ويتكيف دون إضاعة الهدف.

هذه المبادئ لا تجعل من الشاب شخصاً منظماً فحسب، بل تجعل منه شخصاً قيادياً قادراً على مواجهة تحديات العصر، والإنجاز فيه.

أسس الدولة الحديثة

عانت البشرية في مسألة الدولة، وإدارة الشأن العام، ودفعت ضرائب الاهتداء إلى طريقة ناجعة في ذلك على نحو لم يحدث مثله في أي مجال آخر، وقد تبين بعد التجارب المريرة أن استقامة الدولة لن تحدث على النحو المطلوب من غير رقابة شعبية واسعة، وفهم شعبي عميق للآلية التي تعمل بها الدولة، ومن هنا فإن على الشباب أن يعرف الأسس، والشروط التي يجب توفرها حتى يجد الناس أن الدولة تعمل فعلاً لمصلحتهم، وليس لمصلحتها الخاصة. ومن تلك الأسس:

1- سيادة القانون: أي خضوع الجميع للقانون دون استثناء، فالقانون هو الذي يحمي الحقوق، ويحدد الواجبات، ويمنع الظلم. دولة القانون تمنع الفوضى، والولاءات الضيقة، وتضمن

أن تكون القرارات مبنية على قواعد، لا على أهواء أهل النفوذ. وأستطيع القول وأنا أشعر بالاعتزاز إن نبينا صلى الله عليه وسلم هو من وضع هذا الأساس قبل أربعة عشر قرناً في قصة مشهورة حيث إن امرأة من بني مخزوم سرقت، فدفع ذلك رجالاً من قومها إلى تكليم أسامة بن زيد كي يشفع لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقيم عليها الحد، فلما كلمه أسامة في ذلك تلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام، فخطب ثم قال: ((إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سلرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[23]. هذا كلام غني عن الشرح والتعليق!

2- الفصل بين السلطات: لا يمكن اليوم قيام دولة حديثة بسلطة مركزية تمسك بيدها كل جوانب الحكم، وإنما هناك ثلاث سلطات: التشريعية، والتنفيذية، والقضائية. هذا الفصل يمنع الاستبداد، ويتيح الرقابة المتبادلة، ويحقق توازناً مؤسسياً، يحول

[23] رواه مسلم.

دون تغول جهة على أخرى. حين يعي الشباب هذا المرتكز يدركون أهمية وجود مجلس نواب قوي، وقضاء مستقل، وحكومة تخضع للمساءلة.

3- المواطنة المتساوية: تعني المواطنة المتساوية أن يتساوى المواطنون في الحقوق، والواجبات أمام القانون دون تمييز على أساس ديني، أو عرقي... هذا المبدأ أساسي جداً في تماسك الدول والمجتمعات، ومن دونه لن يكون هناك سوى الشعور بالظلم، وشيوع الفوضى، والاضطراب.

4- قوة النظم والمؤسسات: أثبتت التجربة الإنسانية أن المؤسسات القوية، والمتماسكة هي التي تحافظ على الاستقرار، وتتيح تراكم الخبرات، وتقلل من الارتجال، وقد مرت على البشرية حقب زمنية طويلة كانت فيها تعتقد أن الأشخاص الأقوياء هم من يوفرون الأمن، والاستقرار، ثم تبين أن الأمر ليس كذلك.

كلما تحضرت الأمم أكثر قويت نظمها، وتراجع نفوذ الأفراد فيها.

5- المشاركة السياسية: المشاركة السياسية هي جوهر الدولة الحديثة (من انتخابات، وأحزاب ومؤسسات مجتمع مدني، ومجالس محلية...) المشاركة السياسية هي حق من حقوق الناس، ولكنها أيضاً واجب حضاري عليهم. إن عزوف الناس عن المشاركة السياسية يفتح المجال للفساد، والاستبداد، ويُضعف الرقابة الشعبية، ويؤدي إلى ضياع الحقوق، وتكريس قرارات لا تعبر عن المجتمع، ولا عن مصالحه.

6- الشفافية والمساءلة: تقوم الدولة الحديثة على تدفق المعلومات باتجاه الناس، وعلى محاسبة المسؤولين. هذا المرتكز يبني جسور الثقة بين الدولة والمواطن، ويحد من انتشار الفساد.

7- الحقوق والحريات: من العناصر الأساسية في الدولة الحديثة: حماية حرية التعبير، والمعتقد، والتنظيم، وضمان الحصول على التعليم، والعمل، وحفظ الكرامة لعموم الناس.

هذه الأسس موضع إجماع لدى الشعوب لأنها تتصل بما فطرهم الله عليه من مشاعر، وتتصل بتجاربهم الطويلة العريضة. إن على الشباب أن يكونوا جزءاً من تيار الحماية لهذه الأسس حتى يشعروا بأنهم قاموا بواجبهم، وأن بلادهم في أمان.

الوعي بالسنن الحضارية

يحتاج الشاب على نحو خاص إلى فهم القوانين التي تحكم حركة التاريخ، وصعود الأمم، وأفول الحضارات، وذلك كي ينسجم معها[24]، ويستفيد منها في معرفة مهماته، وواجباته على صعيد الإنجاز، والتكيف الاجتماعي، ومن أهم هذه السنن

1- السببية: لا يحدث التقدم، ولا التخلف على سبيل الصدفة، بل نتيجة لأسباب واضحة. إن كل نهضة تسبقها مقدمات من العلم، والعمل، والتنظيم، وكل انهيار تسبقه أسباب يقع على رأسها الظلم، والفساد، والإهمال. إن أخطر ما يواجه الاستفادة من الوعي بهذا القانون هو (عقلية التبرير) حيث إسقاط المسؤولية، وتوقف حركة الأخذ بالأسباب، والعيش في الأوهام.

2- التراكم: التقدم الحضاري لا يحدث دفعة واحدة، وإنما على سبيل التدرج، وعبر جهود صغيرة وكثيرة جداً، وإن الشباب في حاجة إلى هذا الاعتقاد، وذلك لأنه يمنح الشاب النَفَس الطويل،

[24] في كتابي هي هكذا – كيف نفهم الأشياء من حولنا شرحت ستين سنة من السنن الحضارية.

ويحرره من استعجال النتائج، كما أن الإيمان بالإسهامات الصغيرة يولّد الحافز لدى الجميع بتقديم شيء نافع للمجتمع.

3- لا شيء يغني عن العمل: للأفكار، والتنظير، والتخطيط أهمية كبرى، لكنها تصبح غير ذات معنى إذا لم تستثمر في العمل، والحركة، والإنتاج. إننا بالعمل نختبر صحة التصورات، وفعالية ما بحوزتنا من أدوات، ونكتشف حدود قدراتنا الطبيعية، كما أننا نكتشف نوعية البيئة التي نتحرك فيها. وعن طريق العمل تتحول المعرفة التي لدينا إلى خبرة، ونتعلم الواقعية في الطرح... ولهذا نجد حين ننظر في كتاب الله تعالى نوعاً من التلازم بين الإيمان والعمل الصالح.

4- لا شيء يستقيم مع الظلم: الشيء الوحيد الذي حرمه الله تعالى على نفسه هو الظلم، فقال سبحانه في الحديث القدسي: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا...))[25]. لا شيء يستقيم مع الظلم لأنه يهدم الأساس الأخلاقي والوظيفي للحياة، ويكسر الثقة، ويقتل الدافعية، ويجعل العلاقات بين الناس تقوم على الخوف

[25] رواه مسلم

والصراع، والبغضاء بدل التعاون والتراحم، ولهذا قالوا: العدل أساس الملك، وقال أحد أهل العلم: ((إن الله يقيم الدولة الكافرة إذا كانت عادلة، ولا يقيم الدولة المسلمة إذا كانت ظالمة)).

5- التدافع: إن التدافع بين الأفكار، والمذاهب، والمصالح سنة إلهية ماضية في هذه الحياة، وإن من ميزات التدافع أنه يوجد نوعاً من التوازن في الحياة، العامة حين يحد من طغيان شيء على شيء آخر، كما أنه يوجد المنافسة، وهذا يحرّض على الإبداع، ويقلل من الجمود والتواني. التعامل الراشد مع هذه الُسنة يقوم على إحقاق الحق، واحترام التنوع، والاختلاف، والسعي إلى إعلاء شأن المصالح العامة.

6- التغيير من الداخل: يعلمنا القرآن الكريم أن تغيير ما في النفوس هو أساس كل تغيير، فقال سبحانه: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))[26] لا يصلح حال قوم ما لم يحدث تغير في وعيهم وقيمهم، وسلوكهم، وهذا يجعل إعادة بناء الإنسان أولوية مطلقة، وقد كان هذا هو العمل الأساسي لنبينا صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة.

---

[26] سورة الرعد: 11.

7- محورية القادة في النهضة: نحن اليوم نمجد دور النظم القوية، ودور الروح الجماعية، وعمل فرق العمل، لكن هذا لا يصرف أنظارنا عن أهمية الدور الذي يقوم به القادة الأكفاء، والكبار في جمع شمل الناس، وتقليل النزاع، والتشتت، والحد من الصراعات بين القيادات المختلفة. إن القائد يحوَّل الإمكانات إلى إنجاز، ويوجّه الطاقات نحو أهداف مشتركة، ويبعث روح الحماسة للعطاء والعمل في نفوس الجماهير، ولا أحد يستطيع تجاهل دور د. مهاتير محمد في نهضة ماليزيا، ولا دور (لي كوان يو) في نهضة سنغافورة.

8- التداول الحضاري: لم يكتب الله تعالى دوام القوة، والسلطة، والهيمنة لأحد، لا لشخص، ولا لدولة، ولا لحضارة، وقد أخبرنا الله تعالى عن هذا بقوله: ((وتلك الأيام نداولها بين الناس))[27] إن دوام التداول يربط النهضة بالأسباب، وليس بالأنساب، ويجعل العمل والعلم، والعدل معايير للتفاضل، والظفر بالقيادة، والتمكين في الأرض، وهذا يؤكد أن السنن لا تحابي أحداً، وهو في الحقيقة مظهر كريم من عدل الله تعالى بين عباده.

---

[27] سورة آل عمران: 140.

ثقافة بناء أسرة

أختم هذه الرسالة بالحديث عن الثقافة التي يحتاج إليها الشباب عند الرغبة في الزواج، وبناء أسرة صالحة وسعيدة، وناجحة، وذلك إيماناً مني بأن الإعراض عن الزواج وتأخيره عما هو معروف، ومعتاد ليس من القرارات الرشيدة في حياة معظم الناس، وإدراكاً مني لأهمية امتلاك هذه الثقافة في تحقيق الغايات النبيلة من الزواج أحببت أن أوضح بعض المرتكزات والأسس التي يمكن أن تقوم عليها العلاقات داخل أسرة سعيدة، ومستقرة وناجحة.

يقول الله تعالى: ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون))[28].

إن العلاقة الجديدة التي تنشأ بين الزوجين – وهما شخصان لا علاقة نسب ولا جوار بينهما غالباً – هي علاقة عجائبية، وفريدة، وهي دليل على حكمة الخالق الجليل، وقدرته المطلقة. هذه العلاقة لا تقوم على الغريزة، واحتياج كل منهما إلى

[28] سورة الروم: 21.

الآخر، فحسب، وإنما تقوم على (المودة) حيث الحب الواعي المتبادل الذي يظهر في حالات القرب، والاقتراب، والانسجام، والرغبة في العطاء. المودة طاقة إيجابية تتغذى على التفاهم، وحسن المعاشرة. هذه المودة قد تقوى، وقد تضعف، لكنها تظل قابلة للتجدد من خلال السخاء، والعطاء.

أما الرحمة فهي أعمق من العاطفة، إنها وعي أخلاقي بضعف الإنسان، ونقصه، واستعداد لتحمل الطرف الآخر عند التعب، والمرض، والفتور، والتقصير، وسوء الفهم... الرحمة هي التي تمنع العلاقة الزوجية من الانهيار حين تخبو نار المودة، وهي التي تحوّل الخلاف من صراع إلى احتواء. بهذا تصبح الأسرة مشروعاً إنسانياً طويل الأمد، يقوم على المسؤولية، والصبر، والنضج، وليس على المشاعر وحدها. ومما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً جاء إليه، وقال: يا أمير المؤمنين إني أبغض امرأتي. فقال له عمر: ويحك! وهل تبنى البيوت على الحب؟ فأين الرعاية، وأين التذمم؟ ومراده أن الحياة الزوجية لا تصان بالمشاعر وحدها، وإنما بالمروءة، أي الوفاء

بالمسؤولية الأخلاقية، وبالتذمم، أي الحياء من الظلم والتقصير، وبالرعاية، وهي القيام بالواجبات حتى عند ضعف المشاعر.

مرتكزات ثقافة بناء الأسرة:

1- فهم الاختلاف الفطري بين الرجل والمرأة: من المهم للزوجين أن يستوعبا على نحو واضح أنهما مختلفان في البنية العقلية، والبنية النفسية: الرجل يميل غالباً إلى الحلول العملية، والنتائج التي يمكن أن تحصل عليها الأسرة، والمرأة تميل إلى الاهتمام بالمشاعر، والعلاقات، والانشغال بتفاصيل الحياة اليومية. هذا الاختلاف من أجل التعايش على قاعدة: ((نختلف لنأتلف)) وإصرار الرجل على أن تكون زوجته نسخة منه، وإصرار المرأة على أن يكون زوجها نسخة منها هو الذي يؤدي إلى الصراع، وتكدير الحياة اليومية. تشير دراسات علم النفس الأسري إلى أن أغلب الخلافات الزوجية يعود إلى سوء فهم الفروق بين الزوجين، لا سوء النية. نجاح العلاقة بين الزوجين متوقف على أن يفهم كل طرف نفسه أولاً، ثم يفهم طبيعة الآخر، ويحترمها.

إن الاختلاف بين طبيعتي الرجل والمرأة هو معقد ابتلاء واختبار رباني لهما ليظهر للعيان أكثرهما براً بصاحبه، وتفهماً واستيعاباً له، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[29].

2- الاستعداد للتضحية:

لا تستمر حياة زوجية من غير العزم على التضحية، والعطاء المجاني: الرجل يضحي براحته، ووقته، وطموحاته أحياناً من أجل أسرته، والمرأة تضحي بجهدها ومشاعرها، واستقرارها النفسي من أجل البيت والأبناء. الزواج بطبيعته هو انتقال من مركزية الذات إلى مركزية الـ (نحن) ومن منطق الحقوق المجردة إلى منطق المسؤولية. حين يضحي كل طرف دون حساب دقيق للمقابل، يتكوّن مناخ أخلاقي يولّد الثقة، والأمان، والاستقرار. العطاء المجاني لا يُضعف صاحبه، بل يحرره من الأنانية، ويجعل العلاقة بين الزوجين قادرة على تجاوز التقلبات، لأن ما يبنى على البذل يصمد أكثر مما يبنى على المفاصلة والمساومة.

---

[29] رواه الترمذي.

3- الحوار والتواصل: ثقافة الحوار والتواصل بين الزوجين تقوم على أساس إدراك أن الخلاف طبيعي، وأن الهدف من الحوار ليس الانتصار، وإنما الفهم. يقوم هذا التواصل على الصدق، وحسن الإصغاء، واحترام مشاعر الطرف الآخر، وضبط الانفعال، واختيار التوقيت المناسب. الحوار الناجح يميز بين الشخص والمشكلة، ويبتعد عن الاتهام، والتعميم. حين يصبح الحوار عادة يومية قائمة على الذوق، والرحمة، والوضوح، فإن الخلاف يتحول من مصدر للتوتر إلى وسيلة تقارب ونضج أسري.

4- الاستقرار المالي: الاستقرار المالي ركن أساسي في الحياة الأسرية الناجحة، وهو لا يتحقق بالكسب وحده، بل بالتعاون الواعي بين الزوجين. يبدأ ذلك بالعمل الجاد مع الحرص على أن يكون الدخل مشروعاً، ومن الرزق الحلال، ثم التخطيط المشترك بين الزوجين للدخل، وحسن ترتيب الأولويات في الإنفاق، والابتعاد عن الإسراف، والأمور المظهرية، وعدم الخضوع للمقارنات مع الأهل والجيران. كما يقوم التخطيط على ثقافة الادخار لمواجهة الطوارئ، وتقاسم المسؤولية بروح الفريق.

حين يتعاون الزوجان مالياً يتحول المال من سبب للخلاف إلى أداة للطمأنينة، والاستقرار.

أمام السرة وضعيتان، لا ثالث لهما: وضعية الصراع الذي يُنهك النفوس بسبب الجهل، والرعونة، وسوء الفهم، ووضعية السلام الجميل حيث يكون المنزل واحة سكنية وسعادة عميقة تبنى بالوعي، والحوار والتضحية. الأسرة لا تُسعد بذاتها، بل بما يكون فيها من فهم، ورحمة، ومسؤولية.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد حرصت في هذا العمل – كما هو شأني في جميع هذه السلسلة – أن يكون أقرب إلى الرسالة منه إلى الكتاب، فلم أحاول استقصاء كل ما أعتقد أن على الشاب أن يطلع عليه، وإنما حاولت انتقاء الموضوعات التي أرى أن لها أهمية خاصة، وقد عالجتها معالجة مختصرة.

إن عالم اليوم يتغير بوتيرة متسارعة، وإن ما نعده اليوم جديداً، قد يصبح في الغد قديماً، وما نطمئن إليه من أفكار قد يحتاج إلى مراجعة وتحديث بعد شهر، أو سنة. ومن هنا فإن أخطر ما يمكن أن يصيب الشاب ليس نقص المعلومات، وإنما التوقف عن التعلم.

هذا الكتاب هو دعوة إلى أن يكون لدينا عقل يقظ، وروح فسيحة، وإرادة لا تكتفي بما وصلت إليه، بل إنها تواصل السير بثقة واتزان، وهو تذكير بأن بناء الذات رحلة طويلة، وأن النضج يحتاج إلى وقت وصبر.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب القراء الكرام، وأن يثيبني على ما بذلته فيه من جهد.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

فهرس الموضوعات

- مقدمة.

- مصادر التعلم:

مرتكزات اختيار مصادر التعلم.

- القراءة العميقة:

مرتكزات القراءة العميقة:

1- فهم سياق النص.

2- المعنى الظاهر والمعنى الباطن.

3- الأسئلة الذكية.

4- التفاعل مع النص.

- المنظور العقدي العام:

أولاً: العلاقة بالله تعالى.

ثانياً: العلاقة بالدار الآخرة.

ثالثاً: العلاقة بالناس.

رابعاً: العلاقة بمحن الحياة.

خامساً: العلاقة بالمال.

سادساً: العلاقة بالوطن وأهله.

- الوعي بروح الشريعة ومقاصدها:

مقاصد الشريعة.

- السيرة النبوية ونمذجة الهداية:

النبي النموذج:

1- علاقته بالله تعالى.

2- علاقته بالناس.

3- علاقته بأسرته.

- علم التزكية:

1- معرفة النفس.

2- مجاهدة النفس.

3- التحلي بالفضائل.

- التعلم الذاتي وأدواته:

أدوات التعلم الذاتي:

1- المنصات التعليمية المفتوحة.

2- الكتب الرقمية والملخصات.

3- البود كاست العلمي.

4- مشروعات صغيرة.

- الوعي النفسي والاجتماعي:

أولاً: الوعي النفسي.

ثانياً: الوعي الاجتماعي.

أدوات الاكتساب.

– التعامل مع المعارف السائلة:

أهمية المعرفة السائلة.

أسس التعامل مع المعارف السائلة:

1– التحقق قبل الاعتقاد.

2– بناء عقل ناقد.

3– ربط المعلومات بإطار مرجعي.

– التعبير عن الذات:

أهمية هذه المهارة.

مقومات مهارة التعبير عن الذات.

– الفهم المعاصر للعالم:

1- عالم متعدد الأقطاب.

2- معارف متاحة للجميع.

3- عولمة جديدة.

4- أزمة مناخية متصاعدة.

5- المنصات تشكل الوعي.

6- واقع شديد التشابك.

- ثقافة النهوض والانحطاط:

1- مرتكزات النهوض والانحطاط.

2- بذور السقوط والانحطاط.

الدرس الأعمق للشباب.

- التحليل النقدي والتحليل المنطقي:

1- التحليل النقدي.

2- التحليل المنطقي.

- معرفة الجذور التاريخية.

- بناء المساحات المشتركة.

- الإلمام بمبادئ الإدارة:

مبادئ ومرتكزات:

1- وضوح الهدف.

2- إدارة الوقت والطاقة.

3- التحسّن المستمر.

4- التفكير بالنظم.

5- إدارة العلاقات في العمل الجماعي.

6- إدارة القرار.

7- قياس الأداء.

8- المرونة والتكيف.

- أسس الدولة الحديثة:

1- سيادة القانون.

2- الفصل بين السلطات.

3- المواطنة المتساوية.

4- قوة النظم والمؤسسات.

5- المشاركة السياسية.

6- الشفافية والمساءلة.

7- الحقوق والحريات.

- الوعي بالسنن الحضارية:

1- السببية.

2- التراكم.

3- لا شيء يغني عن العمل.

4- لا شيء يستقيم مع الظلم.

5- التدافع.

6- التغيير من الداخل.

7- محورية القادة في النهضة.

8- التداول الحضاري.

- ثقافة بناء أسرة:

مرتكزات ثقافة بناء الأسرة:

1- فهم الاختلاف الفطري بين الزوجين.

2- الاستعداد للتضحية.

3- الحوار والتواصل.

4- الاستقرار المالي.

- خاتمة.